University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السابع و الستون / يناير / 2023

الامبراطور شارلمان والكنيسة
(التحالف السياسي الديني)

د.إيمان عبدالحميد فرج آدم / محاضر بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة عمر المختار /

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السابع و الستون / يناير / 2023

الامبراطور شارلمان والكنيسة
(التحالف السياسي الديني)

الملخص

لقد جاء هذا البحث تحت عنوان: الإمبراطور شارلمان والكنيسة (التحالف السياسي الديني).

ولقد احتوت المقدمة على تبيان بسيط لما تطرق إليه البحث إلى جانب أهمية الموضوع وأهدافه.

وتناول البحث: (الباباهادريان والمشكلة اللمباردية)، حيث جاء فيه علاقة الإمبراطور شارلمان بالباباهادريان وموقفه من الصراع بين البابا واللمبارديين، لاسيما في إيطاليا والحروب التي كانت تشتعل بين الطرفين من حينٍ لآخر، كما أنّ شارلمان في بداية هذا الصراع كان يقف على مسافة واحدة بين الطرفين، إلا أنه ومع استمرار هذا الصراع ولأجل المصالح التي جمعته مع الباباهادريان أخذ يميل لمناصرة هذا البابا ضد اللمبارديين، وصولاً إلى منحه ما عُرف بـ "هبة البابا" عام 774م، والتي أقرّ فيها شارلمان معظم إيطاليا تكون للباباهادريان، إلا أنّ انشغال شارلمان بحروبه ضد السكسون جعله يبتعد عن ولائه للباباهادريان، إلى أن جاء عام 777م، حيث إنه في هذه السنة رُزق شارلمان بولد تولى الباباهادريان تعميده، فكانت هذه الخطوة فرصة طيبة لعودة التحالفات من جديد.

كما أشار إلى (تحالف الملك شارلمان والبابا هادريان ضد البافار والفريزيين)، خُصّ هذا المبحث بتحالف شارلمان وهادريان ضد عدو آخر، وهم البافار، ولكن الأمر مختلف نوعًا ما عن اللمبارديين، فاللمبارديين كانوا في الأصل أعداءً للباباهادريان فقط، ولكن البافار أعداءً للطرفين أي شارلمان وهادريان؛ لأنّ البافاريين كانوا قد أدّوا قسم الولاء للكارولنجيين زمن بيبين القصير ولأبنائه من بعده، كما إنّ البابا ألزمه بالطاعة له وللكنيسة وإلا سوف يوقع عليه عقوبة الحرمان إضافة إلى الصراع مع الفريزيين وإدخالهم في الديانة المسيحية.

وجاء في الختام (البابا ليون الثالث "الحليف الجديد")، كان البابا ليون الثالث منذ البداية قد حاز على رضى شارلمان، لذلك آثرتُ أن أطلق عليه في هذا المبحث بالحليف الجديد، بالرغم من عدم قبوله من قبل باقي الأساقفة ورجال الدين؛ لأنه لم يكن من النبلاء، بل من عامة الناس، لذلك فقد تعرض لعدة محاولات لإزاحته عن الكرسي الباباوي، لكن شارلمان كان يدافع عنه بقوة، فقد كان ليون الثالث سببًا رئيسيًا في تتويجه امبراطورًا، وذلك عام 800م للميلاد وتسمية الامبراطورية الرومانية المقدسة بزعامة شارلمان وبمباركة من البابا ليون الثالث، أصبح الامبراطور شارلمان هو الزعيم الروحي للرومان.

الكلمات المفتاحية: الفرنجة– الكارولونجيين– شارلمان– البابا هادريان– البابا ليون الثالث– اللمبارديون– البافار– الفريزيون.

Emperor charlemagne and the Church(The political Religious Alliance.

Eman Abd elhamed Farg

Abstract :

This research came under the title: Emperor Charlemagne and the Church (The Political-Religious Alliance.)

The introduction contained a simple explanation of what the research dealt with, in addition to the importance of the topic and its objectives.

The research dealt with: (The Pope Hadrian and the Lombard Problem), in which he mentioned the relationship of Emperor Charlemagne with the Pope Hadrian and his position on the conflict between the Pope and the Lombards, especially in Italy and the wars that were raging between the two parties from time to time, just as Charlemagne at the beginning of this conflict was standing at the same distance between the two parties However, with the continuation of this struggle and for the sake of the interests that brought him together with the Pope Hadrian, he began to tend to support this Pope against the Lombards, leading to granting him what was known as the "pope's gift" in the year 774 AD, in which Charlemagne recognized most of Italy as belonging to the Pope Hadrian, but Charlemagne's preoccupation with his wars against the Saxons He made him move away from his allegiance to the Pope Hadrian, until the year 777 AD came, as in this year Charlemagne was born with a son, and the Pope Hadrian baptized him, so this step was a good opportunity for the return of alliances again.

As he referred to (the alliance of King Charlemagne and Pope Hadrian against the Bavarians and the Frisians), this topic was devoted to the alliance of Charlemagne and Hadrian against another enemy, namely the Bavarians, but the matter is somewhat different from the Lombards, as the Lombards were originally enemies of the Pope Hadrian only, but the Bavars were enemies of both parties, i.e. Charlemagne and Hadrian ; Because the Bavarians had sworn allegiance to the Carolingians at the time of Pepin the Short and to his sons after him, just as the Pope obliged him to obey him and the Church, otherwise he would be subjected to the penalty of excommunication in addition to the conflict with the Frisians and their inclusion in the Christian religion.

In conclusion, it came (Pope Leon III, "the new ally"). From the beginning, Pope Leon III had won the favor of Charlemagne, so I preferred to call him in this topic the new ally, despite his lack of acceptance by the rest of the bishops and clergy. Because he was not from the nobles, but from the common people, so he was subjected to several attempts to remove him from the papal chair, but Charlemagne was defending him vigorously, as Leon III was a major reason for his coronation as emperor, in the year 800 AD and naming the Holy Roman Empire under the leadership of Charlemagne and with the blessing of Pope Leo III, Emperor Charlemagne became the spiritual leader of the Romans.

Key Words :Frances-Carolingians-Charlemagne-Pope Hadrien I-Pope Leon III -Lombards -Bavarians-Fris.

المقدمة:

إنّ المطّلع على تاريخ أوروبا في العصور الوسطى لا يخفى عليه مطلقًا الارتباط الواضح ما بين السلطة الزمنية؛ متمثلة في شكل الإمبراطور أو الملك أو أيًا كان من هؤلاء الزعماء السياسيين وبين السلطة الدينية؛ ممثلة في الكنيسة بزعامة البابا، وإن تعددت مراحل هذا الارتباط منذ مطلع العصور الوسطى، إلا أننا ما يعنينا في هذا البحث هو فترة الإمبراطور شارلمان، والتي تبدأ منذ عام 771م، وهو العام الذي توفي فيه الملك كارولمان الأخ الشقيق لشارلمان، وأصبح فيه شارلمان الملك الوحيد الوارث لعرش الفرنجة، دونما شك، فإنّ هذا التحالف ما بين الإمبراطور شارلمان والكنيسة كان يعود بالنفع على كلاهما، فالسلطة الدينية كانت تحتاج للحماية والدعم من قبل شارلمان ضد الأخطار التي كانت تواجهها بدأً بالخطر اللمباردي والبافاري وحتى الخوف من أفراد الكنيسة والمؤامرات التي كانوا يحيكونها ضد البابا ليون الثالث للإطاحة به؛ بحجة أنه ليس من طبقة النبلاء، وكذا الحال بالنسبة للإمبراطور شارلمان، فقد كان الباباهادريان داعمًا له منذ توليه الحكم، واستمر على ذلك حتى تعميده لابن شارلمان ووفاته عام 795م، ليأتي خليفته ليون الثالث ودعمه الأكبر بقيامه بتتويج شارلمان امبراطورًا عام 800م للميلاد، بل وإعلان ما عُرف بالإمبراطورية الرومانية المقدسة.

أهمية البحث:

تقع أهمية هذا البحث في فهم طبيعة العلاقة التي كانت بين السلطة السياسية "عهد الملك شارلمان"، موضوع البحث وبين السلطة الدينية؛ ممثلة في الباباوية زمن هادريان وليون الثالث إبان العصر الوسيط، ومن تحالفات هدفها المصلحة المشتركة بينهما، ومدى انعكاس هذه التحالفات على الأوضاع السياسية لأوروبا في تلك الفترة، مع تبيان الدور المهم لكلا الجانبين.

الهدف من الدراسة:

يظهر الهدف من هذه الدراسة في ما يلي:

1. توضيح العلاقة المتلازمة ما بين السلطة السياسية؛ ممثلة في الإمبراطور شارلمان والباباوية في شخصيتي هادريان وليون الثالث حسب مصالح هذه الأطراف وأهدافها، وهل كانت تغلب عليها مصالح شخصية لكلا الطرفين؟ أم أنها كانت لصالح المسيحية والفرنجة؟.
2. بيان ضعف الباباوية برغم ادعائها أنها تسيطر على العالم المسيحي، والدليل على ذلك استنجادها الدائم بالإمبراطور شارلمان.

3. توضيح هذه العلاقة الودية ما بين السلطتين أنها أفرزت ما عُرف بالإمبراطورية الرومانية المقدسة، وهي الفكرة التي كانت غائبة منذ انهيار الإمبراطورية عام 476م، وتمّ إحيائها مجددًا عام 800م على يد الإمبراطور شارلمان وحليفه البابا ليون الثالث، أم أنها كانت موجودة ولو بصورة شكلية؟
4. هل هذه العلاقات والتحالفات كانت دائمًا بصورة ودية، أم أنها كانت تحدث إلزامًا من أحد الطرفين؟
5. إضافة جديدة للمكتبة الليبية والعربية، نظرًا لندرتها بشكل كبير، نتيجة قلة المادة العلمية بلغتنا العربية، أو لصعوبة ترجمة ما توفر منها، لاسيما اللغة الأم اللاتينية.

المنهج المتبع:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي.

University of Benghazi
Faculty of Education Almarj
جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845
Global Libyan Journal
المجلة الليبية العالمية
العدد السابع و الستون / يناير / 2023

تحالف شارلمان والبابا هادريان ضد اللمبارديين

لقد تزامن مع وفاة الملك كارولمان شقيق شارلمان انتخاب بابا جديد، وهو هادريان الأول (Hadrien I) 772-795م، وذلك في شهر فبراير من عام 772م[1]، والذي كان منذ توليه الكرسي البابوي في مواجهة دائمة مع الإمبراطورية البيزنطية التي لم تتوقف بدورها عن المطالبة بالسيادة على الأراضي الإيطالية، حيث سعى البابا هادريان حثيثًا لإقامة ما عُرف بالسلام الديني بين المسيحية الأرثوذكسية[2] في بيزنطة، والمسيحية الكاثوليكية[3] في الغرب الأوروبي؛ بمعنى وحدة المذهبين[4].

أصل اللمبارديين:

يُعد اللمبارديين أحد الشعوب الجرمانية التي انسابت من موطنها الأصلي حول بحر البلطيق إلى نواحي الإمبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي، حيث أخذوا ينسابون ببطء في حوض نهر الراين، وظهروا في بانونيا منذ نهاية القرن الخامس الميلادي، وبدأوا يحتكون بالعالم الروماني في السنوات التي عقبت مقتل أدواكر في إيطاليا، حيث استقروا وسط الدانوب وفرضوا سلطتهم على كل من جاوروه[5]، وكان اللمبارديون يعتنقون الديانة المسيحية على المذهب الأريوسي، وكانت طباعهم تتسم بالغلظة وانتزعوا الأراضي من الإيطاليين واستعبدوا الكثيرين منهم، وتمسكوا بعاداتهم الجرمانية[6].

بداية الصراع في عهد زيدريوس:

أولى هادريان اهتمامه بموضوع آخر وهي المشكلة اللمبارديه، فمع اعتلائه الكرسي البابوي استقبل في روما سفارة للملك اللمباردي دزيدريوس (Desiderius)، لكن هذه المفاوضات والتي تخص السيادة على إيطاليا لم تجدِ نفعًا، فكلاهما كان مصرًا على بقاء سيادته الفعلية على إيطاليا، ففي صيف سنة 772م شنّ دزيدريوس هجمات على أملاك البابا واستطاع احتلال جيسي Jesi وسنيجاجليا Senigaglia ومنتفيلترو[7] Montefeltro وأوربين[8] Urbin في بنتابول[9]

---

(1) Annales Reghi Francorum, Dans, R.H.G.F., Paris, 1869, T.V, P37.

(2) الأرثوذكسية: هو مذهب الكنيسة الشرقية (بيزنطة)، وكلمة أرثوذكسي يونانية الأصل، ومعناها (الرأي الحق) أي الصواب أو السليم، ومعنى أرثوذكسية أي (شديدة التمسك بالدين على صورته الحقيقية). انظر: إبراهيم عبد السيد، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القاهرة(د.ت)، ص5، 7.

(3) الكاثوليكي: هو مذهب الكنيسة الغربية (روما)، وكاثوليك هي كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (كاثوليكس)، ومعناها عالمي أي "الكنيسة المسيحية العالمية". انظر: إبراهيم عبدالسيد، المرجع السابق، ص6.

(4) ج.م.هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبدالحميد، القاهرة، 1997م، ص117.

(5) فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: إبراهيم نصحي وآخرون، القاهرة، 1950م، ص51.

(6) ديفيز، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالحميد حمدي، الإسكندرية، 1958م، ص40.

(7) منتيلفترو: مدينة إيطالية سميت بهذا الاسم نسبة إلى قصر منتيفلترو مارشي انكونا في بيزا Pise وBouillet. Dictionnaire Universel d'Histoire et de Geographie, Paris, 1871, P1283.

(8) أوربين: مدينة إيطالية على نهر ميتور Metaur على بُعد 280كم شمال روما، وتعتبر العاصمة القديمة لدوقية أوربين. انظر: Bouillet , P1926.

(9) بنتابول Pentapole: تعني خمس مدن تقع في ارخوانية رافنا، وقام بين القصير باقتطاعها من اللمبارديين وإعطائها للباباوية. انظر: Bouillet, PP1454-1455.

Pentapole، وقام اللومبارديين بقتل السكان وتدمير المحاصيل الزراعية وحرق المدن، وكانوا في طريقهم إلى المدينة البابوية برئاسة دزيدريوس، لذلك قرر البابا هادريان في نهاية عام 772م، وبعد فشله في إقناع اللمبارديين وإيقاف الخطر الذي يداهم ممتلكات الباباوية، قام بإرسال مبعوثين إلى شارلمان عام 773م يطلبون منه صد هجمات دزيدريوس، والتقيا به في ثيونفيل[10] Thionville، بينما ذكرت الحوليات الملكية [11] الفرنجية أنّ المكلف بذلك الوفد يسمى بيير Pierre الذي سافر من روما عن طريق البحر إلى مرسيليا، وبعد ذلك واصل طريقه برًا إلى أن التقى بشارلمان في ثيونفيل، في هذه الأثناء كان الملك اللومباردي دزيدريوس قد بدأ في التحرك باتجاه الأملاك البابوية وعند اقترابه من فيترب Viterbe تلقى من البابا هادريان إنذار مصحوبًا بتهديد إصدار قرار حرمانه كنسيًا[12]، ويبدو أنّ دزيدريوس خاف من العقوبة الكنيسة، لذلك أوقف مسيرته.

إرسال السفارات إلى ملك اللمبارديين:

كما أنّ شارلمان أرسل مبعوثين ملكيين طالبوا بإيقاف تهديداته، وبغض النظر عن السبب في توقف دزيدريوس عن تهديده للباباوية، وإن كان السبب الخوف من عقوبة الحرمان الكنسي أم من تهديد رجال شارلمان له، فإنّ ذلك التوقف قد أنقذ روما من الخراب الذي كان سيلحق بها من هجوم اللمبارديين[13]، في تلك الأثناء كان شارلمان يواجه خطر السكسكون[14]، لذا قرر معالجة المشكلة اللمباردية دون أي تدخل عسكري، لذلك أرسل إلى دزدريوس واعدًا إياه دفع أموال كثيرة تقدر بعشرة آلاف سو[15](Sous) من الذهب إذا أرجع للباباوية كل أملاكها وأراضيها، لكن دزدريوس رفض ذلك، وطوال سنة 773م أصبحت المواجهات بين شارلمان والمبارديين في كروفر[16]، ومع بداية عام 774م حصل حدث هام، فقد وصل إلى مدينة روما مبعوثين منشقين عن الملك اللمباردي معلنين ولائهم الكامل للبابا هادريان الذي بدوره استقبلهم بحفاوة كبيرة، واختار الدوق

---

(10) ثيونفيل: مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر موزيل Moselle على بُعد 25كم شمال مدينة متز Metz عقد فيها اجتماع سنة 806م، أعلن فيه شارلمان تقسيم الامبراطورية بين أولاده. انظر: Bouillet, P1870.

(11) Annales Regni francorum, P37.

(12) Liber pontificales, Texte, in traduction et commentaire, I,I, Parl Abbe r: Duchesne, Paris, 1886, P494.

(13) Liber Dontificalis, P495.

(14) السكسون: هم سكان المنطقة الممتدة في شمال جرمانيا (ألمانيا حاليًا)، وهي تقع ما بين بحر الشمال والألب وتحدها من الجنوب شمال سياج أسفل نهر ويرWera، ثم تمتد على طول مجرى الأسفل لي أونسترت وكان سكانها يعملون بالزراعة وتجارة الخيول، ولم يكن السكسون شعبًا واحدًا، بل كانوا مقسمين إلى عدد كبير من الأقوام المستقلة. انظر:

Ganshof, F.L.Lot, F, Pister, Histoire du Moven Age, Paris, 1998, PP430-430.

(15) سو: عملة فرنسية من الذهب أو النحاس..Le Potil Larousse illutre, Paris,1996 P949

(16) للتفاصيل أكثر عن صراع شارلمان مع اللمبارديين. انظر:

Stephenson, C., Mediaeval History, New York, 1951, P137.

هالدبرانر Hildebrand على سبوليت[17] Spolete، حيث جاء في كتاب سيرة الباب: "إنّ سبوليت أصبحت تحت سيادة الباباوية بلا قتال"[18]، ولقد علم البابا بوصول الملك شارلمان إلى نوف [19] Noves فأتاه مسرعًا حاملاً معه علم القديس بطرس، وفي يوم السبت صباحًا كان يوم وقفة القيامة سبقت البابا كتيبة كبيرة، وكانت على مسافة ميل من مدينة روما، بينما كان أطفال المدارس وكتائب عسكرية يُلوحون بأغصان الزيتون ترحيبًا "بالمبعوث الإلهي" الذي أُرسل إليهم لإحلال السلام، وكذلك الكثير من الصلبان التي ركع أمامها شارلمان، وحضر البابا بين يديه ودخلا الكنيسة معًا للصلاة، وأدى شارلمان مناسك الحج في كنيسة القديس بطرس ثم بعد الظهر توجهوا إلى قصر اللاتران[20] Latran، حيث حضر بعض الأدعية والتراتيل الدينية، وفي اليوم التالي وهو عيد القيامة حضر شارلمان قداسًا في كنيسة سان ماري ماجور[21] Saint-Marie Majar، وقد قال البابا هادريان في تلك المناسبة "جعل البابا شديد الاغتباط وانتابته دهشة شديدة"[22].

هبة البابا وانتهاء حكم وزدريوس على بافيا:

في شهر أبريل من عام 774م جرت محادثات بين الملك شارلمان والبابا هادريان، وأعاد كتابة "هبة البابا"، وهي التي تخص كل إيطاليا ما عدا الأملاك التي تخص الدولة البيزنطية[23].

هكذا تشكّلت هبة البابا بكل تفاصيلها التي وقّع عليها هو والأساقفة والأدواق والكونتات التابعين له، وتعهدوا بتنفيذ كل ما ورد فيها وأدّوا القسم أمام البابا هادريان[24]، وبالتالي أصبحت الباباوية باسطة سيادتها على معظم إيطاليا وبعد الاحتفالات عيد القيامة واصل شارلمان حصاره لبافيا Pavia، ومع طول الحصار انتشرت المجاعة والأمراض، مما اضطر دزدريوس للاستسلام وتمّ نفيه إلى كوربي[25] Corbie، حيث مات هناك[26].

---

(17) سبوليت: مدينة كبيرة في إيطاليا تطل على جبل لوكو Luco، وفي نهاية القرن السادس الميلادي أصبحت إحدى دوقيات اللمبارديين. انظر: Bouillet, P1799.

(18) انظر: Liber Pontificaolis, T-I, P496.

(19) نوف: مدينة صغيرة تبعد 30 ميل عن روما. انظر: Bouillet, P1376.

(20) قصر اللاتران: قصر موجود في روما بناه لتراتيوس بلاتيوس، وقد استحوذ عليه الإمبراطور نيرون بعد قتل صاحبه ثم منحه قسطنطين للبابا ميلشياد Melchiade واصبح مقرًا للباباوات إلى عام 1308م. انظر: Bouillet, P1055.

(21) سان ماري ماجور: أو كنيسة مريم الكبرى، بنيت في عهد البابا ليبيريوس في القرن الرابع الميلادي، وهي موجودة في مدينة روما بإيطاليا، محمد قصاص، الفاتيكان وروما المسيحية، دمشق، 1992م، ص89.

(22) Liber Pontificalis, T,I, P496.

(23) الأملاك البيزنطية تشمل جايتت Gaete ونابولي Naples وأمالفي Amalfi وأقصى جنوب كالابريا Calabre وبوي Pouille. انظر: Kleinclaus z, Carlemagne, Paris, 1937, P39.

(24) Liver pontficalis, T,I, PPccxxx VI.

(25) كوربي: مركز لدائرة السيوم Somme على نهر السوم في فرنسا وبها كنيسة ودير قديم. انظر:

Larousse, PourTous, Claud Auge, Paris, Tom Premier, 1951, P1259.

(26) Annales Francici Breves, Vulgo Nasariani dictim dans. R.H.G.F, Paris, 1869, I.V, P11.

لكن الأمر لم ينته عند ذلك الوضع، فقد بدأت المضايقات مجددًا ضد البابا هادريان من قبل ليون Leon رئيس أساقفة رافنا الذي كان يهدف إلى إنهاء العلاقة مع سكان إيطاليا والباباوية، بل ولم يكتفِ بذلك، فقد استفزّ البابا عندما ذهب لمقابلة شارلمان ليحرضه ضد هادريان إلى جانب اللمبارديين خلفاء دزدريوس، لذلك فإنّ البابا كان يتمنى عودة شارلمان لمساعدته من جديد ضد اللمبارديين، لكن في حقيقة الأمر كان شارلمان منشغلاً في حربه ضد السكسون ولم يرغب في إثارة جبهة أخرى، لذلك أرسل مبعوث سلام سنة 775م برئاسة الأسقف بوسيسور Possessor الذي نجح في إقناع دوق سيوليت لإخماد هذه الاضطرابات[27].

الخلاف بين شارلمان والبابا هادريان:

كان عام 776م عامًا حافلاً بالانتصارات لصالح شارلمان ضد اللمبارديين وكذلك السكسكون، وكان البابا هادريان يراقب الوضع بكل حذر، وكان يلقي باللوم على شارلمان؛ لأنه لم يضعه في الصورة في تلك الحروب الأخيرة، كما أنّ الكثير من أعداء البابا[28] أمثال ليون دوق رافنا كان دائمًا يحرض شارلمان ضده، كما وصل إلى مسامع شارلمان أن رعايا هادريان كانوا يبيعون العبيد المسيحين للمسلمين، وأنّ ولائهم للبابا أكثر من ولائهم لشارلمان[29].

عودة التقارب بين شارلمان والبابا هادريان:

ومع صيف عام 777م أنجب شارلمان ولدًا، حيث قام البابا هادريان وكما هو متعارف عليه بتعميده، فكان ذلك فرصة طيبة لإعادة العلاقات الودية بينهما[30]، فقد كانت فرحة شارلمان كبيرة جدًا مع قدوم مولوده الأول، والذي سوف يكون وريثًا للعرش الكارولنجي، فجاءت هذه المناسبة فرصة طيبة لعودة العلاقات الودية بين زعيمي العالم المسيحي، وهما: الإمبراطور شارلمان وصاحب السلطة السياسية والبابا هادريان صاحب السلطة الدينية.

(27) Codex Carolinus dans M.G, Epistolae, Ed- Gundlach, Hannoverae, 1908, T, II, P580.
(28) Annales Lauissenses Minores, dans M.G. H, SS, Ed. Hermannus Bloch, Hannoverae, 1907, P157.
(29) Codex carolinus, P583.
(30) Einhard and Notker the stammere two lives of charlemagne, translated with anintroduction loy lewis throp pengain book, London, 1969, P29.

تحالف الملك شارلمان والباب هادريان ضد البافار والفريزيين:

أول عهد الصراع مع البافار:

ظهر الصراع مع البافار[31] جليًا مع تولي شارلمان الحكم، حيث كانت الحروب بينهما على أشدها، ففي سنة 781م استغل شارلمان فرصة نفوذه الذي كان يمارسه على البابا هادريان الأول ودعمه المستمر له، فطلب منه أن يرسل ممثلين من قبله وقبل البابا، يذكّرون ملك البافار "تاسيليون" Tassilon يمين الولاء الذي أدّاه لوالده ببين القصير ولأولاده من بعده[32].

حركات التمرد ضد البافاريين:

لقد اهتم شارلمان بالتوسع باتجاه بافاريا، فادان له البافاريون أول الأمر وتحويل مملكتهم إلى دوقية تحظى بنوع من الاستقلال الذاتي سياسيًا ودينيًا، إلا أنّ تاسليون لم يلبث إلا أن عاد إلى التمرد من جديد وإعلان عصيانه في سنة 788م[33].

الخوف من عقوبة الحرمان:

تذكرُ الحوليات الملكية أنّ البابا هادريان الأول أرسل مبعوثين هما أسقف فرموز Farmos وأسقف دماز Damas، وأما شارلمان فقد كان من مبعوثيه الشماس ريكولف Richolf وابرهارد Ebrharad كبير مستشاريه للتفاوض مع الدوق تاسيلون الذي شعر بالخوف نتيجة الانتصارات التي حققها في إيطاليا وبلاد السكسون، كل ذلك جعله يرضخ لهذه المفاوضات، مما اضطره إلى أن يؤدي قسم الولاء، أمام شارلمان بل وطالب البابا بالتدخل لإقامة السلام بينه وبين شارلمان؛ لأنه خاف من عقوبة الحرمان التي لوّح بها البابا ضد تاسليون والبافاريين عامة، واستطاع شارلمان بفضل هذا الخضوع من فرض الأنظمة والقوانين الكارولنجية، إضافة إلى الإصلاحات القانونية، كل هذه التحالفات المشتركة ما بين شارلمان والباباوية كانت ترمي في حقيقتها إلى مصالح وأهداف كلاهما، بالمقابل حصوله على الدعم والتأييد ضد خطر اللمبارديين في إيطاليا أعطى دعمه ومساندته لشارلمان ضد البافاريين الذين كانوا يخضعون لسيطرة البابا الدينية[34].

---

(31) البافار: بلاد البافار تقع على الحدود الشرقية لبلاد الفرنجة، كانت دوقية ممتدة على نهر الدانوب من الجهة اليمنى، وقد كان ارتباطها بالفرنجة منذ القرن السادس الميلادي، وتمّ انفصالهم عنهم في أواخر عهد الدولة الميروفرنجية. انظر:

Calmette, J, Charlemagne, Savie et son oeuvre, Paris, 1945, P90.

(32) Einhard, P50.

(33) Epistolae Kardini Aevi, Damns M.G.H., Hanovre, 1829, III, 1905, PP.496-497.

(34) Annales Regni francorum, P56.

التحالف ضد الفريزيين:

على الجانب الآخر ظهر التحالف بين الإمبراطور شارلمان والكنيسة بزعامة البابا هادريان ضد فريزيا Frise[35]، والذين كانوا على الديانة الوثنية وغلبت على طباعهم الشدة والقسوة، لقد ناضل الفريزيين كثيرًا ضد الفرنجة ولم يقبلوا الرضوخ لهم بسهولة، ولم يتقبلوا الفرنجة وكل ما يتعلق بهم من حضارة وعادات وتقاليد[36].

وقد جرت عدة محاولات لإخضاعهم من قبل الفرنجة، ولكن كانت تفشل، وما يعنينا هنا هو الصراع الدائر بينهم وبين الإمبراطور شارلمان، وكيف استطاع إخضاعهم بمساندة من الكنيسة بزعامة البابا هادريان، وذلك من خلال إقناع الفريزيين بالدخول في الديانة المسيحية.

بداية الصراع مع الفريزيين سنة 780م:

كانت أولى الخطوات من قبل البابا هادريان هو إرسال فريق مؤلف من مبعوثين لدعوة الفريزيين للدخول في الديانة المسيحية بزعامة "لويتجرد" Leutgardis في أواسط فريزيا، واستطاع إدخال عدد لا بأس به في المسيحية[37]، والذي ما لبث أن تعرض سنة 784م لهجوم من بعض الفريزيين المعارضين للديانة المسيحية، وكانوا يرغبون في القضاء عليها داخل بلادهم وعودة الوثنية، حيث وصلوا إلى مقر أسقفيته في زويدرزيهZuiderzee، لكن "لويتجرد" لاذ بالفرار خوفًا منهم[38]، وبمجرد وصول هذه الأخبار إلى مسامع البابا هادريان أرسل إلى حليفه الإمبراطور شارلمان رسالة يطلب فيها الدعم لمبعوثه في بلاد فريزيا، فاستجاب شارلمان فورًا لطلبه وقام بإرسال مجموعة من الجنود عام 786م لمؤازرة "لويتجرد" ضد المتمردين الفريزيين الذين دخلوا طوعًا للمسيحية، وبالفعل استطاعوا إخضاعهم بالقوة.

خضوع الفريزيين لسلطان شارلمان:

في واقع الأمر إنّ الانتفاضات ضد تبعية الكارولنجيين كانت تحدث باستمرار، ولعلّ سنة 790م كانت آخر سنة يحدث فيها تمرد ضد الفرنجة، لينعم الفرنجة بزعامة شارلمان بالسيطرة الكاملة على فريزيا، وأصبحت مقاطعة كارولنجية بامتياز تتبع شارلمان، كما بُني فيها كنائس وأديرة كبيرة لخدمة المسيحية وترسيخها هناك، وعلى الصعيد الآخر، فإنّ الفريزيين ظلوا متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم التي احترمها الإمبراطور شارلمان، وأصبحوا جزءًا لا يتجزأ من الكارولنجيين، هكذا يتبين لنا بشكل كبير كيف ساند البابا هادريان عن طريق مبعوثيه الإمبراطور شارلمان، لكي يتمكن من بسط سيطرته على أحد أهم حدود مملكته الشمالية

---

(35) فريزيا: تقع في شمال غرب أو ستفاليا بين مصب نهر الراين ونهر الويزر، وهي هولندا الحالية.انظر Bouillet, P709.

(36) نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط، ج1، القاهرة، د.ت، ص ص158-159.

(37) Amann, E, Histoire de L'Eglise, T.VI, L'Epoque carolingienne, Paris, 1947, P188.

(38) Halphen. L.,Etades Critiques sur L'Hisitiore de charlemagne, Paris, 1921, P71.

الشرقية وهي فريزيا، وبالمقابل وفّر شارلمان الغطاء العسكري اللازم لهؤلاء المبعوثين لكي يقوموا بنشر المسيحية، وعلى المذهب الكاثوليكي الذي يُدين به البابا هادريان وحليفه شارلمان[39].

[39] Ganshof, PP. 429-430.

البابا ليون الثالث (الحليف الجديد لشارلمان)

وفاة البابا هادريان:

في السادس والعشرين شهر ديسمبر عام 795م توفي البابا هادريان الأول، ولقد تأثّر شارلمان كثيرًا عندما سمع بخبر وفاة البابا الحليف والمخلص له، حيث وصف المؤرخ اينهارد ذلك بقوله: "إنّ شارلمان بكى حين علم بخبر رحيل الباباهادريان، كأنه فقد شقيقًا أو ابنًا يكنُّ له حبًا بالغًا"[40]، وامر بنقش لوحة من الرخام الأسود تخليدًا لذكراه[41].

انتخاب البابا ليون الثالث:

وفي صباح اليوم الثاني لوفاة الباباهادريان تمّ انتخاب البابا الجديد وهو (ليون الثالث) الذي لم ينل رضى نبلاء روما، فهو خلاف البابا السابق، لم يكن من طبقة النبلاء، بل كان من عامة الناس[42]، وجاء اختياره عن طريق شارلمان، وكان ليون قد وعده بالطاعة والإخلاص لكل الفرنجة، وأرسل مندوبون حملوا معهم الهدايا ومفاتيح كاتدرائية القديس بطرس وعلم مدينة روما، وبادر شارلمان بتهنئة ليون الثالث باعتلائه السدة الرسولية متمنيًا أن يدوم الود والسلام بينهما[43].

محاولة الانقلاب على البابا ليون الثالث من قبل رجال الدين:

لكن في الخامس والعشرين من شهر أبريل عام 799م، قامت انتفاضة واتهم بعض رجال الدين البابا بالهرطقة؛ لأنه من عامة الشعب وليس من النبلاء، وذلك عندما كان ليون الثالث متوجهًا إلى كنيسة القديس سان لوران Saint Laurent في لوسينا[44] Lucine ليحضر الاحتفال الديني، وهو عيد القديس مرقس Merc، حيث قطع عليه الطريق اثنان من كبار موظفي البلاط البايوي؛ أحدهما باسكال Pascal ابن شقيق البابا الأسبق هادريان، والثاني يسمى كامبولوس Campulus وقاما بالانقضاض عليه بالضرب وحاولا سمل عينيه، ولكنه استطاع الفرار بفضل بعض المشايعين المخلصين له، واللجوء إلى كنيسة القديس بطرس[45]، ورأى ليون الثالث الابتعاد كليًا عن روما، وطلب المساعدة من شارلمان الذي كان مشغولاً في محاربة السكسون، وعندما علم شارلمان بما حصل للبابا، أصدر أوامره بإحضاره إلى إيطاليا، وعندما وصل البابا للمقر الملكي سارع ببين ابن شارلمان ملك إيطاليا باستقباله بحفاوة بالغة واصطحابه إلى مقر شارلمان، حيث عقدت جلسات بين الجانبين، وصعد البابا لتتويج شارلمان امبراطورًا إذا أعاده على رأس الكنيسة الكاثوليكية[46]، وبالفعل أمر شارلمان الأسقفين (أرن) Aren دوق

(40) Einhard, P61.
(41) Kleinckaus Z, A., P239.
(42) Liber Pontificalis, T, II, P38.
(43) Annales Regni francorum, P50.
(44) Annales Einnard, dans M.G.H, SS. RER, Ed. Kurze, Hannoverae, 1895, P106.
(45) Theophanes, The chronicle of Theophanes, Trans. By Harry turtedove, Pensylvania, 1982, P649.
(46) Annales Regni francorum, P51.

سالزبروج Salzburg وهلدبالد Hildebald دوق كولوني باصطحاب البابا ليون الثالث عام 799م[47]، إلى روما في موكب ضخم وأُعيد تنصيبه في 30 نوفمبر من نفس العام، وتمّ استقباله بحفاوة بالغة من قبل طبقات الشعب الإيطالي[48].

قد نال البابا ليون الثالث ترحابًا كبيرًا من كافة طبقات المجتمع الكارولنجي وكبار رجال الدين ورجال القصر الإمبراطوري والجيش وكبار التجار والاستقراطيين والكثير من عامة الشعب رافعين الصلبان والأعلام، وهم يسيرون باتجاه كنيسة القديس بطرس، وتجمعوا حول البابا وهم في يقين كامل أنه كان مظلومًا في كل التهم الموجهة إليه، وكانت الأمور تسير لصالح البابا ليون الثالث، فحسب النصوص التي أقرّها الباباوات من قبل "السدة الرسولية تدين الجميع ولكن لا تدان من قبل أحد"[49].

تتويج شارلمان إمبراطورًا عام 800م:

وفي السنة التالية وبعد عام تحديدًا أي في نوفمبر عام 800م توجه شارلمان إلى إيطاليا، وقد كتب الكوين على تلك الأحداث: "أنه لم يبق للمسيحية إلا سلطة عظمى ألا وهي سلطة شارلمان، فالبابا فقد هيبته، أما الإمبراطور الروماني فقد اختفى على الإطلاق، ولم يبق للكنيسة إلا مساندها وداعمها شارلمان، فهذا واقع الأمر"[50]. وبالفعل انطلق ليون الثالث للقاء شارلمان، وقد أورد لنا المؤرخ اينهارد مدى الاحترام الذي أبداه البابا لشارلمان[51] إلى جانب عدد من رجال الإكليروس والأساقفة الذين تجمعوا لتحية شارلمان[52]، وفي الأول من ديسمبر عقد شارلمان مجمعًا دينيًا في كنيسة القديس بطرس، وتمّ تبرئة ساحة البابا ليون الثالث من كل التهم التي أُدين بها في المؤامرة السابقة، وفي يوم عيد الميلاد من سنة 800م في كاتدرائية القديس بطرس، تجمع العديد من رجال الدين لإقامة القداس، وفي هذه الأثناء وضع البابا ليون الثالث التاج الثمين على رأس شارلمان، حيث قال: "أهدي هذا التاج إلى شارل ذلك الأغسطس التقي المتوج من قبل الله، فليمنح الله الحياة والنصر لذلك الإمبراطور العظيم، رجل السلام وإمبراطور الرومان"[53].

حقيقةً كان هذا التحالف أقوى التحالفات التي حصلت بين شارلمان والباباوية، حيث تمّ فيه تبادل المصالح بين الجانبين، وهكذا أصبح شارلمان امبراطورًا وأسس امبراطورية عُرفت "بالإمبراطورية الرومانية المقدسة"، وهذا يعني أنه لم تعد بيزنطة وحدها امبراطورية، بل اتضح أنه لها منافس في الغرب، وهي الامبراطورية الرومانية المقدسة كما سمّاها شارلمان، وبمباركة من

(47) Alcuini, Epistolae, Ed. Dummler, dans M.G.H. EPP, Paris, 1939, T.IV., P628.
(48) Liber pontificalis, T.II, P6.
(49) Alcuini Epistolae, 628.
(50) Alcuini Epistola, P309.
(51) Eginhard, P81.
(52) Annales Regni Francrum, P52.
(53) Liber bontificalis, T.II, P8.

الكنيسة أصبح شارلمان الزعيم الروحي للرومان، ومنذ ذلك الحين اتخذ ليون الثالث والباباوات من بعده حقوقهم في تتويج الأباطرة في الغرب الأوروبي[54].

بالفعل قد جاءت الفرصة للإمبراطور شارلمان لكي يحيي الإمبراطورية في الغرب بعد انتهاءها لعدة قرون، وأظهر نفسه بأنه ليس مجرد ملك متبربر، ولكنه إمبراطور عظيم لشعب صاحب تراث عظيم ودعم علاقته بالبابا ليون الثالث عندما أسس نظرية جديدة قوامها أنّ مملكته تمثل الشعب المسيحي، وأنها تخضع لسلطة الكنيسة المسيحية في روما، وهذه قد خصتها ببركتها الروحية وتأييدها الديني[55].

[54] Halphen, P236.
وانظر أيضًا: ج.ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، القاهرة، 1964م، ص ص222-223.
[55] محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، 2006م، ص ص288-289.

الخاتمة

1. لقد كان للتحالف الذي قام بين الإمبراطور شارلمان والكنيسة آثاره ونتائجه الواضحة لكلاهما، فالإمبراطور شارلمان منذ توليه الحكم بصفته ملك قام بالتقرب من الباباوية؛ لأنه رأى فيها المشرّع الرئيس لكل أعماله التي قام بها، سواءً في الداخل أو الخارج.
2. طالما وقفت الكنيسة مدافعة عن كل ما قام به شارلمان من حروب وتوسعات خارج مملكته، خاصةً فيما يخص أملاك البافار واللمبارديين، والتي أصبحت من أملاكه.
3. وكذا الحال فيما قام به هادريان من استقباله لشارلمان عام 774م، بحفاوة بالغة كانت فرصة مناسبة للتعبير عن العرفان بالجميل لزعيم أوروبا وقتئذٍ، ومحاولة من قبل البابا هادريان لكسب ود شارلمان في مواجهة كافة الأخطار المحدقة بالباباوية، لاسيما الخطر اللمباردي، والمعنى أنّ الباباوية هدفها حماية كيانها ومصالحها الخاصة.
4. السعي الدائم من قبل البابا هادريان من أجل إقامة السلام الديني بين المسيحية الأرثوذكسية في بيزنطة والمسيحية الكاثوليكية في الغرب الأوروبي.
5. فشل البابا هادريان في إقناع اللمبارديين بوقف عدوانهم على ممتلكات الباباوية ونجاح الإمبراطور شارلمان في ذلك تارة بالتهديد وشن الحروب، وتارةً بالسلام والمهادنة.
6. كان شارلمان حريصًا على استمالة البافار ووضعهم تحت سلطانه، فقام بإعطائهم نوعًا من الاستقلال الذاتي من الناحية السياسية والدينية بمساعدة من البابا هادريان الذين كانوا يتبعونه دينيًا.
7. اتحد شارلمان والبابا هادريان ضد الفريزيين الذي كانوا يعتنقون الوثنية، فكان هدف البابا هادريان هو إدخالهم في الدين المسيحي وهدف شارلمان هو إخضاعهم تحت سيطرته، وقد نجح كلاهما على الرغم من صعوبة هذا الشعب الذي كافح طويلاً من أجل استقلاله.
8. وفي عهد البابا ليون الثالث، فقد كان التحالف أشد وضوحًا، خاصةً عندما دافع شارلمان بشراسة عنه منذ توليه الكرسي البابوي، وحتى عندما قامت ضده انتفاضة عام 799م من قبل رجال الدين واتهموه بالهرطقة لعدم رضاهم عنه؛ لأنه ليس من نبلاء أوروبا رفض الاستماع لأعدائه وأصرّ على إعادته على رأس الهرم الكاثوليكي في 30 نوفمبر 799م.
9. ويظهر أنّ البابا ليون الثالث لم ينس جميل حليفه ونصيره شارلمان، الذي قام بتتويجه عام 800م إمبراطورًا على كافة الغرب الأوروبي، لتبرز امبراطورية جديدة موازية للإمبراطورية البيزنطية، بل كانت أقوى منها بكثير لدرجة أنها أخذت تزحف على أجزاء كبيرة من الأراضي التابعة لها.

10.كان موقف شارلمان من الكنيسة بصفة عامة تحكمه عدة اعتبارات هامة تتصل بمدى ما كان يكنه من احترام للمسيحية وما أظهره من وازع ديني قوي، حيث أنه جنّد نفسه لخدمة الدين ونشر المسيحية بين القبائل المتبربرة الوثنية، ولم تنسى الباباوية ذلك الأمر فكانت تدين له بالولاء والإخلاص الكامل، وهذا ما شهدنا في كافة التحالفات بين شارلمان والكنيسة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً– المصادر:

1. Alcuini, Epistolae, Ed. Dummler, dans M.G.H. EPP, Paris, 1939, T.IV.
2. Annales Einnard, dans M.G.H, SS. RER, Ed. Kurze, Hannoverae, 1895.
3. Annales Francici Breves, Vulgo Nasariani dicti dans. R.H.G.F, Paris, 1869, I.V.
4. Annales Lauissenses Minores, dans M.G. H, SS, ed. Hermannus Bloch, Hannoverae, 1907.
5. Annales Regni Francorum, Dans, R.H.G.F., Paris, 1869, I.V.
6. Codex Carolinus dans M.G, Epistolae, Ed- Gundlach, Hannoverae, 1908, T, II.
7. Einhard and Notker the stammere two lives of charlemagne, translated with anintroduction loy lewis throp pengain book, London, 1969.
8. Liber pontificales, Texte, in traduction et commentaire, I,I, Parl Abbe r: Duchesne, Paris, 1886.
9. Theophanes, The chronicle of Theophanes, Trans. By Harry turtedove, Pensylvania, 1982.
10. Epistolae Kardini Aevi, Damns M.G.H., Hanovre, 1829, III, 1905.

ثانيًا– المراجع:

1. Amann, E, Histoire de L'Eglise, T.VI, L'Epoque carolingienne, Paris, 1947.
2. Bouillet, Dictictionnaire universel d'Histoire et de Géographie, Paris, 1871.
3. Calmette, S, Charlemagne, Savie et son oeuvre, Paris, 1945.
4. Ganshof, F.L.Lot, F, Pister, Histoire du Moven Age, Paris, 1998.
5. Halphen. L, Etudes critiques sur I'Histoire de Charlemagne, Paris, 1921.
6. Kleinclaus Z, Carlemagne, Paris, 1937.
7. Le Potil Larousse illutre, Paris,1996.
8. Stephenson, C., Mediaeval History, New York, 1951..
9. إبراهيم عبد السيد، الفروق العقيدية بين المذاهب المسيحية، القاهرة، (د.ت).
10. ج.ج. كولتون، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف، القاهرة، 1964م.
11. ديفيز، أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالحميد حمدي، الإسكندرية، 1958م.

12. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة: إبراهيم نصحي وآخرون، القاهرة، 1950م.

13. محمد قصاص، الفاتيكان وروما المسيحية، دمشق، 1992م.

14. محمد محمد مرسي الشيخ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، 2006م.

15. م.هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبدالحميد، القاهرة، 1997م.